

بأهوالها، ولهذا عَظُم أمرها وفُخِّمَ بقوله: ﴿القارعةُ . ما القارعةُ . وما أدراك ما القارعةُ﴾ .
 ﴿٤﴾ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ : من شدة الفزع والهول، ﴿كالفراش الميثوث﴾ ؛
 أي: كالجراد المنتشر الذي يموج بعضه في بعض، والفراش هي الحيوانات التي
 تكون في الليل يموج بعضها ببعض، لا تدري أين توجه؛ فإذا أوقد لها ناز؛
 تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول.

﴿٥﴾ وأما الجبال الصمُّ الصلابُ؛ فتكون ﴿كالعهن المنفوش﴾ ؛ أي: كالصوف
 المنفوش الذي بقي ضعيفاً جداً تطير به أدنى ريح؛ قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها
 جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحابِ﴾ ، ثم بعد ذلك تكون هباءً منثوراً، فتضمحل ولا يبقى منها
 شيء يشاهد. فحينئذٍ تُنصَبُ الموازينُ، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء:

﴿٦ - ٧﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ؛ أي: رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فهو
 في عيشة راضية﴾ : في جنات النعيم.

﴿٨ - ١١﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ : بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته،
 ﴿فَأَمَّهُ هَآوِيَةً﴾ ؛ أي: مأواه ومسكنه النار التي من أسماؤها الهاوية، تكون له بمنزلة
 الأمِّ الملازمة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ . وقيل: إن معنى ذلك:
 فأمُّ دماغه هاوية في النار؛ أي: يلقي في النار على رأسه، ﴿وما أدراك ما هية﴾ :
 وهذا تعظيم لأمرها. ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ^(١) حَامِيَةٌ﴾ ؛ أي: شديدة الحرارة، قد
 زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا بسبعين ضعفاً. نستجير بالله منها.



تفسير سورة ألهاكم التكاثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّافِ الْأَعْيَمِ

﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ^(٢)﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ
 تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ
 الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧ .

(١) في (ب): «بقوله: هي نار».

(٢) في (أ): «إلى آخرها. وفي (ب) ذكر الآيات إلى آخر السورة».

﴿١﴾ يقول تعالى موبخاً عباده عن اشتغالهم عما خُلِقوا له من عبادته وحده لا شريك له ومعرفته والإنابة إليه وتقديم محبته على كل شيء: ﴿أَلِهَاتِكُمْ﴾: عن ذلك المذكور، ﴿التَّكَاثُرُ﴾: ولم يذكر المُتَّكَاثِرَ به؛ ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون ويفتخر به المفتخرون؛ من [التكاثر في] الأموال والأولاد والأنصار والجنود والخدم والجاه وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود منه وجه الله^(١).

﴿٢﴾ فاستمرت غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: فانكشف حينئذٍ لكم^(٢) الغطاء، ولكن بعدما تعذّر عليكم استنفاه. ودلّ قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: أن البرزخ دار المقصود منها النفوذ إلى الدار الآخرة^(٣)؛ لأن الله سمّاهم زائرين، ولم يسمّهم مقيمين، فدلّ ذلك على البعث والجزاء على الأعمال^(٤) في دار باقية غير فانية.

﴿٣ - ٦﴾ ولهذا توعدّهم: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾؛ أي: لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب؛ لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتكم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون، ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾؛ أي: لتردن القيامة، فلترون الجحيم التي أعدّها الله للكافرين.

﴿٧﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؛ أي: رؤية بصرية؛ كما قال تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾.

﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾: الذي تنعمتم به في دار الدنيا؛ هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه؛ فينعمكم نعيماً أعلى منه وأفضل؟ أم اغتررتكم به، ولم تقوموا بشكره، بل ربّما استعنتم به على المعاصي^(٥)؛ فيعاقبكم على ذلك؟ قال تعالى: ﴿ويوم يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْبَبْتُمْ طِيَابَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...﴾ الآية.



(١) في (ب): «وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى».

(٢) في (ب): «لكم حينئذٍ».

(٣) في (ب): «إلى الدار الباقية».

(٤) في (ب): «بالأعمال».

(٥) في (ب): «معاصي الله».